قسم اللغة العربية/ كلية الآداب / المستنصرية

المرحلة (٢) / البلاغة العربية/ الدراسات الصباحية

المحاضرة رقم (١٣) / الاستعارة مفهومها وأنواعها

أ. د / عبد الباقي الخزرجي

الاستعارة لغة:

مأخوذة من قولهم استعار المال: طلبه عارية أو هي أن تأخذ شيئا معينا من غيرك كيما تستعمله مدة ثم ترجعه اليه، والمستعار هو ما أخذ وأسرع العمل به مبادرة لارتجاع صاحبه إياه.

الاستعارة اصطلاحا:

هي مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، او هي تشبيه حُذف أحد طرفيه؛ وذكر فيه الطرف الآخر وأُريد الطرف المحذوف؛ ولذلك قال البلاغيون هي (تشبيه مختصر) ولكنها ابلغ منه لأنّ فيها دعوى اتحاد الطرفين معا.

ونأخذ مثالا تطبيقيا عليها: **قوله تعالى: ((والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)).** حتى نصل إلى الاستعارة يجب أن نستخرج جمل التشبيه في النص القرآني وهي:

الجملة الأولى: شبّه الله سبحانه وتعالى: (**الهدى**) ب **(النور)** فحذف المشبه (**الهدى**) من الجملة وأبقى على المشبه به(**النور**) بوصفه يتضمن معنى (**الهداية**) أصلا.

الجملة الثانية: شبّه الله سبحانه وتعالى: **(الضلالة)** ب **(بالظلمات)** فحذف المشبه **(الضلالة)** من الجملة وأبقى على المشبه به **(الظلمات)** بوصفه يتضمن معنى **(الضلالة)** أصلا.

ونأخذ مثالا آخرا عليها من الشعر العربي قول الشاعر أبو ذويب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفعُ

نستخرج أولا جملة التشبيه وهي أنّ الشاعر شبّه **(المنية)** ب **(بالحيوان المفترس)** في حين أبقى هذه المرة على المشبه **(المنية)** وحذف المشبه به **(الحيوان المفترس)** لكنه أبقى علامة من علاماته أوصفة من صفاته للدلالة عليه ومعرفته وهي **(الأظفار)** التي أسندت تخييلا الى المشبه.

نأخذ مثالا تطبيقيا آخرا للاستعارة زيادة في الفهم والإيضاح: قول المتنبي في الغزل بالأعرابيات:

مَنَ الجآذر في زي الأعاريبِ * حمرُ الحلى والمطايا والجلابيبِ

إن كُنتَ تسألُ شَكاً في معارفها * فَمَن بَلاكَ بتسهيدٍ وتعذيبِ

أفدي ظباءَ فلاةٍ ما عرَفنَ بها * مَضغَ الكلامِ ولا صَبغَ الحواجيب

ومن هوى كلّ مَن لَيست مُموّهة * تركتُ لونَ مشيي غير مخضوبِ

ومن هوى الصدقِ في قولي وعادتهِ * رغبتُ عن شعرٍ في الوجه مكذوبِ

المناقشة والتحليل:

افتتح المتنبي قصيدته بالحديث عن الجاذر وهي جمع جؤذر؛ والجؤذر هو ولد البقر الوحشية، لكن جآذر المتنبي هذه تختلف عنها فهي ترفل في الثياب الزاهية، وتلبسُ الحلي، وتركب الأبل، وفوق كل ذلك تسبب له التسهيد والتعذيب.

ثم يتحدث بعد ذلك عن الظباء وهي الغزلان ولكنها نوع آخر فهي لا تتصنع في كلامها، ولا تصبغ حواجبها، أي أنها لا تستعمل مستحضرات التجميل، فما حكاية جآذر المتنبي وظبائه.

بالطبع أنّ الشاعر لا يتحدث عن البقر الوحشي ولا الغزلان، فأنّ الأوصاف التي نسبها إلى الجآذر لا يمكن ان تكون أوصافا للبقر الوحشي، والصفات التي أطلقها على الظباء لا يعقل أن تكون مما يصحُ وصف الغزلان به، فما المقصود بهذه الجآذر والغزلان؟

إذا تأملنا الأبيات جيدا نجد أنّ ما ذكره المتنبي عن الجآذر والظباء إنما هو من أوصاف النساء ونحن نعلم أن هذه الأبيات قيلت في التغزل بالأعرابيات؛ إذن المتنبي يتحدث في واقع الأمر عن النساء لا عن البقر الوحشي أو الظباء وهو بذلك استعار كلمة **(الجآذر)** لتدل على النساء، واستعار كلمة **(الظباء)** لتدل على النساء أيضا.

ونؤكد أنّ معنى كلمة **(جؤذر)** وضعت في اللغة لولد البقرة الوحشية، وكلمة **(ظبي)** وضعت أصلا لتدل على الغزال، والمتنبي لم يرد أيّا من هذين المعنيين؛ بل استعمل الكلمتين للدلالة على المرأة فأنّه استعارهما من المعنى الحقيقي لهما **(ولد البقرة والغزال)** إلى معنى جديد هو**(المرأة)**

وهذا ما نسميه المجاز ويجب علينا الآن البحث عن العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أي بين الظباء الحقيقية أي الغزلان والنساء؛ وتكمن المشابهة بينهما في جمال الشكل والهيئة وعلاقة المشابهة هذه ضرورية ولازمة لوجود الاستعارة. والكلمات التي تمنع الوصول إلى المعنى

الحقيقي تسمى (القرائن) ومفردها القرينة وهي التي تمنع من إيراد المعنى الحقيقي وتجعله غير وارد.

وهنا نوضّح بأنّ القرينة نوعان: فإما أن تكون **(لفظية)** إذا كان في الكلام لفظة أو عبارة تشير إلى عدم إرادة المعنى الأصلي، فقد جاءت عبارة **(مضغ الكلام)** وعبارة **(صبغ الحواجيب)** قرينة على أن المتنبي لم يرد المعنى الأصلي لكلمة الظباء.

وإما أن تكون **(معنوية)** إذا لم تأتِ في لفظة أو عبارة بعينها، وإنما فُهمت من سياق الكلام، فإنّ معرفتنا بقصة كليوباترا هي التي جعلتنا نقرر أنّ المقصود **(بأفعى القصور)**، ليست حيّة تعيشُ في القصر وإنما كليو باترا نفسها، أما عندما نقول **(أفعى التلال)** فنقصد الحيّة على حقيقتها.

<u>أنواع الاستعارة:</u>

تقسم الاستعارة باعتبار ذكر أحد طرفيها أو باعتبار ذكر المشبه به أو حذفه على قسمين هما:

أولا: الاستعارة التصريحية (المصرحة) وهي التي يكون فيها المشبه به مذكور ومحقق فعلا بلفظه كما في قول ابن الرومي:

توخى حمام الموت أوسط صبيتي * فلله كيف اختار واسطة العقد

فالمشبه به موجود ومحقق (واسطة العقد) وقد صرّح الشاعر به وبلفظه.

ثانيا: الاستعارة المكنية: وهي التي لا يذكر فيها المشبه به (المستعار منه) ويكنى عنه بلازمة من لوازمه أو صفة من صفاته، مع ذكر المشبه (المستعار له) ومثال ذلك قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام:((ربّ إني وَهن العظمُ مني واشتعل الرأسُ شيباً)).

إذ شبّه الرأس (المشبه) وهو محقق موجود في النص، ب الوقود (المشبه به) وهو محذوف في النص وغير محقق؛ ولكن رمز اليه بلازمة من لوازمه وهي (الاشتعال) على سبيل الاستعارة المكنية.

قال الشاعر:

إذا ما الدهرُ جرّ على أناسٍ * كلاكلهُ اناخَ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

فالمشبه أو المستعار له موجود هو(الدهر)، والمشبه به او المستعار منه محذوف هو(البعير)، واللازمتان (الكلاكل والإناخة) وهما من لوازم المشبه به المحذوف (البعير)، وهنا جاءت الاستعارة مكنية.

وقول الشاعر: ولما قلّت الأبل امتطينا * الى ابن أبي سليمان الخطوبا

فالمشبه موجود ومحقق هو(الخطوب)، والمشبه به محذوف وغير موجود(الحيوانات)، وأبقى لازمة من لوازمه وهي (امتطينا) على سبيل الاستعارة المكنية.

قال الحجاج في خطبة له في الكوفة:(إني لأرى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها وإني لصاحبها)

فالمشبه أو المستعار له محقق وموجود هو (الرؤوس) والمشبه به أو المستعار منه محذوف وهو (الثمار)، وابقى لازمة من لوازمه وهي(القطاف وأينعت) على سبيل الاستعارة المكنية.